البخاري بلفظ كنا ناكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن
نسمع تسبيح الطعام زاد الحافظ وله شاهد عند البيهقي كان ابو
الدرداء وسلمان اذا كتب احدهما الى الاخر قال له باية الصحفة وذلك
انهما بينما هما ياكلان في صحفة اذ سبحت وما فيها انتهى ولابي الشيخ
عن انس اتي النبي صلى الله عليه وسلم بطعام ثريد فقال
ان هذا الطعام يسبح قالوا او تفقه تسبيحه قال نعم يا رسول
الله هذا الطعام يسبح ثم قال ردها فردها وظاهر هذين الحديثين
انه كان يسبح بعد وضعه في الفم ولا مانع من تمام هذا الكلام مما
بيننا انس به لان معنى قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده
تسبيح حقيقي بلسان المقال لا بلسان الحال ويشهد له قوله
ولكن لا تفقهون تسبيحهم اذ لو كان بلسان الحال لفهمناه وفي قوله
كنا دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدة واية النبي صلى الله
عليه وسلم اعظم من تسبيح الجبال مع داود وفهم نطق الطير
لسليمان وعن جعفر الصادق بن محمد عن ابيه محمد
الباقر بن علي بن زين العابدين ابن الحسين بن علي ابن ابي طالب
قال لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم
فاتاه جبريل بطبق اي وعا مجازا وان كان الطبق لغة الغطا لانه على
هيئته فيه رمان وعنب من الجنة على الظاهر وزعم انهما من
الدنيا اذ لو كان من الجنة لم يبق لقوله اكلها دائم لا يسمع لان ذاك
في يوم القيامة فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم
فسبح اي فارادا لا طعمه اذ تناوله بيده لا بعد الاكل كقوله اذا قمتم
الى الصلاة فاغسلوا كذا البعض رواه اي ذكره القاضي
عياض في الشفا بلا اسناد تعليقا قال السيوطي ولم اجده في كتب
الحديث اي المشهورة فلا ينافي اطلاع عياض عليه ومن
ثم نقله عنه الحافظ ابو الفضل في فتح الباري في شرح حديث
ابن مسعود واعلم ان التسبيح من قبيل الالفاظ
الدالة على معنى التنزيه واللفظ يوجد حقيقة ممن قام
به اللفظ وهو الحيوان الناطق فيكون في غيره ممن قام
به مجازا علاقته المشابهة في النطق فالطعام والحصا
والشجر ونحو ذلك كل منها متكلم باعتبار خلق الكلام اي التلفظ
مع عبارته حلته او بدونها [illegible] الامور اذ لا تلازم بين الحياة
والنطق فيها حقيقة وهذا من قبيل خرق العادة اذ خلق الله
فيها النطق بما تنزهه به لانه عبارة عن احد كان يسبح حيث
احضر الطعام او الحصيات ونحوهما لانه خروج عن الظاهر بلا دليل وخوارق
العادات لا تقاس بالمعهودات وفي قوله ونحن نسمع تسبيحه تصريح
بكرامة الصحابة بسماع هذا التسبيح وفهمهم مع انه ليس بمعهود وذلك بحضرته
صلى الله عليه وسلم حيث

حيث سرى سره اليهم وهي اعظم من معجزة داود عليه السلام في تسبيح
الجبال معه لانها لم تسبح بيده بخلاف نبينا فسبحت بيده وبيد من
اراده من امته وتسبيح الطعام اعظم منهما اذ لم يعهد منهما مثله والجبال
قد وصفت بالخضوع والخشوع ومن فهم سليمان منطق الطير لانه
ناطق في الجملة بخلاف الطعام والله اعلم ومن ذلك تسليم الحجر
عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن سيد الناس
يحتمل ان يكون هذا التسليم حقيقة ويكون الله انطقه
بذلك كما خلق الحنين في الجذع ويحتمل ان يكون مضافا الى
ملائكة يسكنون هناك من باب واسال القرية فيكون من مجاز
الحذف وهو علم ظاهر من اعلام نبوته على كلا التقديرين انتهى وبالاول
جزم النووي فقال في شرح مسلم سلامه حقيقة وقيل
في قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده انه حقيقة بتمييز يخلقه
الله تعالى ونقله الابي واقره خرج مسلم من حديث جابر
بن سمرة صحابي بن صحابي نزل الكوفة ومات بها بعد سنة سبعين
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي اي يقول السلام عليك يا رسول
الله ونحوه قبل ان ابعث اني لاعرفه الان وتنكيره وتاكيده بان
استحضار لمشاهدته حتى كانه يسمع سلامه الان قال عياض
اشارة الى ان له شانا خاصا به وانه حجر ليس كسائر الحجارة ولذا
روي انه الحجر الاسود فلا يقال لا فائدة في ذكر حجر واخبره مع انه
كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه وقد اختلف في هذا
الحجر فقيل هو الحجر الاسود لما روي في بعض المسند ان قاله
في الروض والعيون وقال في الاكمال وفي غير مسلم كانوا يرونه الحجر
الاسود انتهى فصرحوا بانه رواية ولا ينافيه قوله اني لاعرفه الان
اذ الحجر الاسود يشاركه في معرفته جميع الناس لان المراد اني لاستحضر
ذلك كأنه حتى كأني اسمع سلامه الان كما ذكره عياض وقيل
هو حجر غيره بزقاق يعرف به اي بزقاق الحجر بمكة وزقاق
المرفق والناس يتبركون بلمسه ويقولون انه هو الذي كان
يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم في اجتيازه
ولكن الاول اصح لانه رواية وقد ذكر الامام ابو عبد الله محمد بن رشيد
بضم الراء مصغر رشد نسبة لجده الاعلى اذ هو محمد بن عمر بن محمد بن عمر
بن محمد بن ادريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد بن عمر
بن رشيد الفهري السبتي ولد بها سنة سبع وخمسين وستمائة
وكان اماما حافظا متضلعا من العلوم عالي الاسناد صحيح النقل
اخذ عن خلق بالمغرب والشام والحجاز ضمنهم في رحلته وعاد الى غرناطة
فنشر بها العلم ومات بفاس سنة احدى وعشرين وسبعمائة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)